الجمعة 9 أغسطس/ آب 2024 م 5 صفر 1446 هـ ◻ العدد 3630 السنة العاشرة
Friday 9 August 2024

العربي الجديد

هوامش

هنا جولة في أمستردام، في شوارعها ومظاهر التناقضات الاجتماعية السياسية فيها، وزيارة لشارع يافا الذي يعرف باسم شارع العرب، وتجليات التضامن مع الفلسطينيين في المطاعم والأزقة

في أمستردام، مايو 2024 (Getty)

عربي في أمستردام

الإبادة وكولا فلسطين وشاورما

أمستردام ـ **عمّار فراس**

أمستردام مدينة هادئة، على الرغم من كل الصخب الذي تشتهر به، وعلى الرغم من جسورها التي تصلح للانتحار، كما في رواية «السقطة» (1956)، لألبير كامو، يكفي الابتعاد قليلاً عن مركز المدينة حتى يعم الصمت، والطبيعة الخضراء، ويجد المُتنزِّه نفسه في مدينة لا تخلو من أشباح الماضي، وتناقضات الحاضر.

تناقضات الحاضر نراها في علم فلسطين المعلق على عدد من الشرفات. في الوقت نفسه الذي نرصد فيه، تحضر أشباح الماضي حين نرى القطع المعدنية الصغيرة على الرصيف، التي تحمل أسماء يهود أرسلوا إلى المحرقة. فهولندا لم تتردد في الوقوف إلى جانب النازيين، ناهيك عن دورها الفعال في تجارة العبيد بين أفريقيا وأوروبا والقارة الأميركية. جبل من الذنوب التاريخيّة يختفي وراء الهدوء وتفرعات النهر، ذنب أشبه بضباب لامرئي يلف شوارع المدينة. تشتد هذه التناقضات حين نقرأ موقف هولندا من حرب الإبادة الإسرائيلية المستمرة منذ عشرة أشهر في غزة، إذ أعلنت سابقاً وقفها تمويل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)، ثم أعادت هذا التمويل، ثم صدر أمر قضائي بوقف بيع الطائرات النفاثة إلى إسرائيل لـ«شبهة» استخدامها في قتل المدنيين في غزة، كما لم تخلُ الجامعات والشوارع من مظاهرات واحتجاجات تنتصر للحق الفلسطينيّ.

شارع العرب أو شارع يافا

كل هذا يتحرك في عقل المُتنزّه في شوارع أمستردام وهو يحاول تفادي الدراجات الهوائية، متأملاً البيوت التي تشبه البسكويت والكنائس البروتستانتيّة قليلة الزخرفة، بينما المدينة صامتة، يلعب أطفالها في الحدائق، وينتشر مراهقوها حول نهر أمستل وتفرعاته. لكن للزائر العربي لهذه المدينة فرضاً واجباً: زيارة لـ«شارع العرب»، وهي التسمية المستعارة من شارع الزونينالية في برلين والمتداولة فقط بين الجالية العربيّة. إذ لا يعرف الأمستراميون بوجود المكان، أو بصورة أدق لا يعرفون بوجود هذه التسمية. إذ إنّ الاسم الرسمي للشارع هو شارع يافا Javastraat. طبعاً، هدف الزيارة هو الشاورما، كجزء من استطلاع واستكشاف ميداني يقوم به الكثير من المهاجرين في محاولة للإجابة عن سؤال: «أين يمكن تناول أفضل شاورما في أوروبا؟»، ومجدداً تخسر أمستردام في هذا التحدّي، إذ لا تزال برلين تتربع على عرش أفضل شاورما عربي في أوروبا.

تدخل أشهر محل شاورما في شارع يافا الذي يحمل اسم «دجلة والفرات»، تطلب الشاورما وتسأل الموظف: «هل من كولا؟»، فيقول «كوكا كولا أم مقاطعة؟»، تجيب من دون تردد: «مقاطعة»، لتجد في البراد عبوة كولا مرسومة عليها كوفيّةً باسم «كولا فلسطين»، وهي علامة تجارية جديدة أنشأها أخوان في السويد لتكون بديلاً عن المشروبات الغازية التي تدعم دولة الاحتلال، وتندرج تحت قائمة الشركات المُقاطعة.

الثورة السورية هنا أيضاً

تنهي الوجبة مبتسماً، شاورما وكولا فلسطين، لكن لا بد من تحلية، تدخل محلاً قريباً متواضعاً لشراء الحلاوة الحمصية (يختلف السوريون حول هويتها: حموية أم حمصية)، لتسمع فجأة صوت عبد الباسط الساروت ينبعث من مكبر صوت في المحل: «خاين يلي بيقتل شعبو خاين». الثورة السورية أيضاً حاضرة. تشتري الحلاوة، وتأكل متأملاً الشارع العريض محدقاً في كولا فلسطين، هنا، تراودك فرضية واحدة «سهل إذاً إنتاج كولا لذيذة مختلفة عن الماركات الأميركية، الأمر ليس بالتعقيد الذي نتخيله». لم تخلُ مسيرة الفخر في أمستردام من انتصار لغزة وانتقاد شديد لإسرائيل، علماً أن عمدة المدينة رفض مطالب منع رفع علم الاحتلال، لذا نظم الناشطون مسيرات خاصة بهم، ورفعوا شعار «لا فخر في ظل الإبادة»، و«لا أحد حرّ إلا حينما نكون جميعاً أحراراً».

تعود المدينة للهدوء بعد الاحتجاجات والمظاهرات والاحتفالات، ولا تبقى سوى علامات على الإبادات التي شهدتها البلاد، التي للمفارقة لم تساهم بإيقافها، بل تحولت إلى رموز للتذكير، والتأكيد أننا منذ الحرب العالمية الثانية إلى الآن لم ننجح في إيقاف إبادة واحدة على الأقل، بل تكتفي أوروبا بالإدانة والسخط والتهديد... وربما القلق، كما هي الحال بعد انتشار فيديو اغتصاب أسير فلسطيني من قبل جنود احتلال إسرائيليين، إذ عبّرت الولايات المتحدة وأوروبا، ومعهما الأمم المتحدة، عن «قلقهم» من المشاهد العنيفة التي وثّقها جنود الاحتلال بأنفسهم.

باختصار

تناقضات الحاضر نراها في علم فلسطين المعلق على عدد من الشرفات. في الوقت نفسه الذي نرصد فيه، تحضر أشباح الماضي

◼◼◼

للزائر العربي لهذه المدينة فرض واجب: زيارة لـ«شارع العرب»، وهي التسمية المستعارة من شارع الزونينالية في برلين والمتداولة فقط بين الجالية العربيّة

◼◼◼

تسمَعُ فجأة صوت عبد الباسط الساروت ينبعث من مكبر صوت في المحل: «خاين يلي بيقتل شعبو خاين». الثورة السورية أيضاً حاضرة

وأخيراً

في أحوال الشاعرة

رشا عمران

قرأت منذ أيّام عدّة منشوراً لكاتب عربي يقول فيه (في ما معناه) إنّه يستغرب كيف يمكن لشاعرة أن تكون من ذوات الوزن الزائد، فالشاعرة يجب ألا تُفكّر بغير الشعر، فالشعرُ معاناةٌ ومُكابَدةٌ، والمُكابَدةُ تتنافى مع الشهيَّة للطعام، وتتعارض معها، ما يعني أنّ الشاعرةَ ستبقى نحيلةً، ومصفرَّةَ الوجه، من فرط مُكابَداتها لكتابة قصيدتها. بقدر ما كان هذا المنشور مُستفزّاً لي لفرط ذكوريته، ذلك أنّه ذكر الشاعرات تحديداً من دون أن يُعمِّم على جميع الشعراء (ذكوراً وإناثاً)، ويبدي رأياً في فهم عالم الشعر، وخصّ الشاعرات بالمنشور مبدياً ذكوريةً تحاول خلطَ رؤيته الجمالية للمرأة بالشعر، بقدر ما أضحكني وذكّرني بالتنميط الذي وُضِعت به الشاعرات العربيات من مُثقّفين عرب، ومن شعراءَ (فحولٍ)، يعتقدون أنّهم مُؤهَّلون لإطلاق الأحكام على الشاعرات من منطق أبويٍّ ذكوريٍّ متعالٍ، لاعتقادٍ راسخٍ لديهم بأنّهم الضلعُ الثقافيُّ الذي تَخرج منه الشاعرات.

أحد شعراء سورية الحداثيّين، من كُتّاب قصيدة النثر، كان يقول إنّه لا توجد امرأة شاعرة، فإن كانت شاعرةً فهي قد تخلّت عن صفات الأنوثة، ولا توجد شاعرةٌ جميلةٌ أو تهتمُّ بمظهرها، ولا توجد شاعرةٌ يمكنها أن تهتمَّ ببيتها وبأناقته ونظافته. وهذا الرأي لم يكن رأياً مرسلاً، وليس في سبيل التهريج، بل كان يُردّده دائماً على مسامع الجميع، وقال ما يشبهه في حوارٍ صحافي أُجري معه لمطبوعة سورية خاصّة. والحالُ إنّ هذا لم يكن رأيه وحده فقط، بل هو نظرةٌ عامّةٌ نحو الشاعرة في مجتمعاتنا، لا يوجد مثيل لها في ما يخصّ الروائيات أو الساردات أو العاملات في مجال السينما والدراما والمسرح وباقي الفنون. وفي الأغلب أنّ هذا الرأيَ مُستنبَطٌ من تاريخ العرب مع الشعر منذ الجاهلية وعصور الإسلام اللاحقة، فكان الشعر دائماً ذكوريّاً، أو هذا ما وصل إلينا منه في الأقلّ. وحين كانت توجد امرأةٌ تقرض الشعر كالخنساء، كان ينقل عنها ما يختصّ بأمر رثاء الذكور الخاصّين بها. وحدها ولّادة بنت المُستكفي خرقت هذه القاعدة، لسبب وحيد؛ مكانتها الاجتماعية، والسلطة التي منحتها لها تلك المكانة، وسجاح بنت الحارث، التي اتُّهمت بالجنون والكذب، وأُطلِقت عليها الصفات القبيحة كلّها، لأنّها ادَّعت النبوة.

ورغم الانفتاح الذي حدث مع وسائل التواصل الاجتماعي، وانكشاف حياة الشاعرات أمام الجميع، إلّا أنّه ما زال كُثرٌ يملكون الرأي ذاته النمطي عنهن، فالشاعرات لسن أنيقات، ولا يعتنين بجمالهن، ولسن (ستّات بيوت)، ولا يعتنين بالرجل الشريك الذي معهن، ولا يعرفن كيف يُقدِّمن الحُبّ والعاطفة، ولا يكترثن لشيء غير كتابتهن الشعرية. وللحقّ، فإنّ كاتبة هذه السطور تتمنى لو أنّ هذا حقيقي، ولو أنّ لا شيء إطلاقاً يشغل الشاعرة غير كتابة الشعر، لكنّ الشاعرةَ امرأةٌ أولاً، يغويها ما يغوي باقي النساء في العالم كلّه. الشاعرة، إن أتيح لها، تُفتَن بالعطور الفاخرة و«الاكسسوارات» الفاخرة والملابس الأنيقة، ويُبهِجُ قلبها أن ينتبه شريكها إلى التفاصيل التي تُسعِدها، ويعنيها أن يفعلها لها، وأن تتبادل معه

> منذ الجاهلية وعصور الإسلام اللاحقة، كان الشعر دائماً ذكوريّاً، أو هذا ما وصل إلينا منه في الأقلّ

الدلال، تُحبُّ أن يهديها أحدٌ ما زهوراً بيضاء أو هديّة ثمينة، الشاعرة تُحبُّ الهدايا الثمينة مثلها مثل نساء الأرض كلّهم، تُحبّ أن تسمع كلام الغزل حتّى وإن كانت في أول الستين مثلي حالياً. تعشق الشاعرات شراء ملابس النوم السوداء المصنوعة من «الموسلين» و«الستان» والمكشوفة الظهر والذراعين؛ تخبرني صديقاتي الشاعرات من أعمار مختلفة بهذا، تُحبُّ الشاعرة لون الشمس على جلدها، وتُحبُّ أثر الكُحل في عينيها، حينما تستيقظ بعد سهرة طويلة نالت فيها كثيراً من حظّ المتعة والفرح؛ معظم الشاعرات يحببن الطبخ ويستمتعن بطقس الطبخ والمطبخ، وبرائحة التوابل، وتجريب وصفات مختلفة وتطبيقها وتقديمها لأصدقائهن ولمن يحببن؛ تُحبُّ الشاعرةُ التسوُّق، هذا الفعل الذي يقال إنّ الشاعرات يتعفَّفن عنه، تُحبُّ التفاصيل كلّها التي تفعلها الأنثى الطبيعية التي تتأمّل أنوثتها، وتشكر الحياة على هذه النعمة. ما يفعله الشعر أنّه يساعدها على الشغف بتلك التفاصيل الأنثوية الأليفة كلّها، وهذا لا يمنع عنها كتابة الشعر، ولا يمنع كاتبته أيضاً أن تكون ممتلئةَ القوام، وذات بشرة نضرة. أما ذلك الذي يعتقد أنّه يملك الحقّ في تجريد الشاعرة ممّا سبق كلّه ليعترف بشاعريتها، فليبحث عن مرجعيّته في ذلك قبل ادّعاء الحداثة.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**